المصطلح النحوي بين الصفة والنعت

الدكتور جميل علوش

يتداول مؤرخو علوم العربية عبارة ذائعة مشهورة هي قولهم: (إنّ علم النحو نضِج واحترقَ)، يقصدون بها أنَّ هذا العلم اكتمل وبلغ نهايته. وكل من يُعنى بعلم النحو يتخذ هذه العبارة ذريعة لإلغاء كل نشاط يمكنُ أن يؤدي إلى فائدة ملموسة، فلا يحاول أن يبذل جهداً لتجديد أو رغبة في إصلاح، بل هو لايحرصُ على أن يضيفَ لبنة صغيرة إلى هذا البناء الضخم الشامخ. ولذلك كَثُرَ التقليد وانحصرت محاولات التأليف في هذا الموضوع في كُتُبٍ لاتتضمن جديداً. فهي بما تحتويه من قواعد وتقريرات وشواهد وأمثلة نُسَخٌ مكررة عن الكتب القديمة التي نحترمها ونجلّ. وكلُّ مايبذله مؤلفو هذه الكتب من جهد، قلّما يتعدى الشكل الخارجيّ إلى الجوهر واللُباب(*).

وقد تيسّرَ لي من خلالِ علاقة حميمة بالنحو تمتدُّ إلى أكثر من ثلاثين عاماً أن أفهمَ هذا العلمَ الذي يعدُّ بحقّ لبَّ لباب العربيّة، فهماً يمكنني من أن أدلي بدلوي في موضوعِ تحسينه وتهذيبه وتقريبه من أذهانِ الناشئة في أقطار الوطن العَرَبيّ. ولذلك تبيَّنَ لي أنَّ السبيلَ إلى تجديدِ هذا العلمِ وتلافي مافيه من مواطن النقصِ والقصورِ تمرُّ بالنقاطِ التالية :

(*) جاء في (الأشباه والنظائر) للسيوطي (١/ ٧): «وقال الزركشي في أول قواعده: «كان بعض المشايخ يقول: العلوم ثلاثة: علم نضِج وما احترق وهو علم النحو والأصول، وعلم لا نضِج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضِج واحترق وهو علم الفقه والحديث. انتهى» [المجلة].

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ – دقّة المصطلح النحوي .

٢ – وحدة الوظيفة النحويّة.

٣ – التقليل من التقديرِ والتأويل .

٤ – التخفيف من الاعتماد على المعنى اذا تعارض مع اللفظ .

وتهدف هذه الدراسة إلى تقديم مثال واحد على ضرورة العمل على دقة المصطلحِ النحوي وتوحيد هذا المصطلح. فلا شكَّ أنّ النحو مازالَ يُعاني حتى الآن من اضطراب المصطلح وتعدده وتناقضه، وهذا ممّايقود إلى الغموضِ والالتباس وعسر الفهم. فنحن نجد مثلاً مصطلح الفعل الناقص مشتركاً بين الصرف والنحو، فهو في الصرف يدل على ماانتهى بحرف علة مثل دعا وبكى، كما يدل في النحو على مااحتاج إلى خبر من الأفعال مثل كانَ وأخواتها. وكذلك يلتبسُ على الطلبة التفريق بين الفاعل وهو مصطلح نحوي، واسم الفاعل وهو مصطلح صرفي .

ومن المصطلحات النحوية التي تقود إلى الغموض والالتباس، والتي هي مشتركة أيضاً بين الصرف والنحو مصطلح «النعت»، فالنحاة يوردون هذا المصطلح تارة باسم النعت وطوراً باسم الصفة أو الوصف. ومما يزيد المسألة إشكالاً أنّ الصفة أو الوصف مصطلح صرفي يتكرر ذكره وترداده في كتب الصرف ومصادره .

ولا بدَّ لنا، لكي نصل إلى تحديد دقيق لهذه المصطلحات واختيار المصطلح المناسب من بينها، أن تحدد معانيها ودلالاتها في اللغة أولاً ثمَّ في البلاغة ثمَّ في الصرف ثمَّ في النحو. لعلَّ ذلك التحديد يمكننا من أن نختار أكثرها مناسبة لما يطلق عليه النحاة اسم «النعت» من التوابع، ولا بدَّ من التنبيه هنا على أنّ ما نسعى إليه من وجوب الحرص على دقة المصطلحِ يجعلنا أكثر ميلاً لاختيار المصطلح الذي يخلو من الاشتراك والازدواجية.

ولا بدَّ لنا، قبل أن نقرر ذلك، أن نبحث عن معاني هذه المصطلحات حسب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الترتيب الذي اقترحناه سابقاً، أي في اللغة، ثمَّ في البلاغة ، ثم في الصرف، ثم في النحو .

أولاً – في اللغة :

إذا أمعنا النظر في كتب اللغة تبين لنا أنّ هذه الكتب تحاول أن تبرز الفرق بين الصفة والوصف أولاً، ثم بين الصفة والنعت أو بين الوصف والنعت ثانياً. ولا نراها تصل إلى جواب يستحق الذكر في ذلك. ومهما يكن فلا بدَّ أن نحاول تقديم صورة موجزة وصحيحة عمّا تتضمن تلك الكتب :

(١) يقول ابن منظور في لسان العرب: «النعت وصفك الشيء، تنعته بما فيه وتبالغ في وصفه. والنعت: ما نُعِتَ به. نعته ينعته نعتاً وصَفَه. ورجل ناعت من قوم نعّات، قال الشاعر: أنعتُها إنّي من نعّاتها، وجمع النعت نعوت»(١)، ويقول في تفسير الوصف: «وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفة: حلاه، والهاء عوض من الواو. وقيل الوصف المصدر والصفة الحلية»(٢) .

(٢) يقول الفيومي في المصباح المنير: «وصفته وصفاً من باب وعد نعته بما فيه. ويقال هو مأخوذ من قولهم: وصف الثوبُ الجسمَ اذا أظهر حاله وبيّن هيئته. ويقال: الصفة إنما هي بالحال المنتقلة والنعت بما كان في خَلْقٍ أو خُلُقٍ . والصفة من الوصف مثل العدة من الوعد، والجمع صفات»(٣).

(٣) قال أبو هلال العسكري في كتاب الفروق: «إنّ النعت فيما حكى أبو العلاء لما يتغيّر من الصفات. والصفة لما يتغير ولما لايتغير. فالصفة أعمُّ من النعت. قال: فعلى هذا يصحُّ أن ينعت الله تعالى بأوصافِهِ لفعله، لأنه يفعل ولا يفعل، ولا ينعت بأوصافِهِ لذاته اذ لايجوز أن يتغيّرَ»(٤). ويضيف: «والذي

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة «نعت» .

(٢) المصدر نفسه، مادة «وصف» .

(٣) الفيومي: المصباح المنير، مادة «وصف» .

(٤) أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، ص ٢١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عندي أنّ النعت هو مايظهر من الصفات ويشتهر، ولهذا قالوا: هذا نعت الخليفة، كمثل قولهم: الأمين والمأمون والرشيد. وقالوا: أولُ من ذكر نعته على المنبر الأمين ولم يقولوا صفته، وإن كانَ قولهم الأمين صفة له عندهم، لأنّ النعت يفيد من المعاني التي ذكرناها مالا تفيد الصفة»(٥). ويضيف: «ثمّ قد تتداخل الصفة والنعت فيقع كل واحد منهما موقع الآخر لتقارب معناهما»(٦).

(٤) يقول الشيخ ياسين العليمي في التصريح: «قال الدنوشري: الوصف يطلق على مالا يتغير وعلى غيره، والنعت لايطلق إلا على مايتغير فقط، ولذا يقال صفات الله ولا يقال نعوته»(٧) .

ويضيف: «وأقول فيه – وإن أقرّهُ الدنوشري – نظر ، لأن إطلاق النعوت على صفات الله تعالى واقع في كلام الأئمة»(٨).

(٥) قال صاحب الكواكب الدرية: «ويقال له (يقصد النعت) الوصف والصفة، ولا فرقَ بينهما عندَ النحاة. وأمّا عند غيرهم فقيل النعت مايمكن زواله عن محلّه كاللون العارض وعدم العالمية في المخلوق . والصفة مالايزول إلا بزوال محلّه كاللون الخلقي والعالمية»(٩) .

والحقيقة الوحيدة التي نستطيع أن نستخلصها مما سبق أنّ المصطلحين، أي الصفة والنعت ،يتداخلان. أمّا مازعَمَهُ أبو هلال العسكري والدنوشري وصاحب الكواكب الدرّية من أنَّ النعت يدل على عارض والصفة تدل على

---

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٢ .

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٢ .

(٧) التصريح على التوضيح، ٢/ ١٠٨ .

(٨) المصدر نفسه والمكان نفسه.

(٩) الشيخ محمد الأهدل: الكواكب الدرية، ٢/ ٩٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثابت فقد أثبت الفيومي في المصباح المنير عكسَه، إذْ خصَّ الصفة بالحال المنتقلة والنعت بما كان في خَلْقٍ أو خُلُقٍ . ولا نعرف إن كانَ هذا النقضُ مقصوداً أو مجرد وهمٍ من الفيومي. صحيح أنّ ياسين العليمي اعترض على دعوى الدنوشري بأنّ النعت لايطلق إلا على مايتغير، وهو مايوصف بالعارضِ، ولكنه لم ينفِ الشق المعاكس من الكلام، وهو أن الصفة تطلق على مالا يتغير.

ويبدو لي أنّ هذا الذي نصَّ عليه أبو هلال العسكري والدنوشري وصاحب الكواكب الدرية من أنّ الصفة تدل على مايتغير وما لايتغير وأنّ النعت يدلُّ على مايتغيّرُ فقط ليسَ ثابتاً ولا صحيحاً للأسباب التالية:

١ – أنّ كتب اللغة ونصوصها المأثورة لاتثبتُه .

٢ – أنّ الفيومي في المصباح المنير ذكر خلافَه .

٣ – أنّ الشيخ ياسين العليميَّ يؤكد أنّ إطلاق النعوت على صفات الله واقع في كلامِ الأئمة، وهذا ينفي أن تكون النعوت تدل على عارض يتغيّر .

ولعلّ الذين قالوا بأنَّ النعت يدل على صفة عارضة استخلصوا هذا الرأيَ من حقيقة أنَّ الناس لا يذكرون فيما يخصُّ الله تعالى إلا الصفات، فهم قلّما يذكرون النعوت عند التطرق لأسماء الله تعالى وصفاته. وعلى الرغم من ذلك فنحن نرى ابن خلدون يخالف ذلك، فيذكر النعوت في معرض ذكر الصفات الخاصة بالله تعالى. قال في تقديم المقدمة: «الحمد لله الذي له العزة والجبروت، وبيده الملك والملكوت، وله الأسماء الحسنى والنعوت»(١٠). وقد يقال إنّ السجع اضطر ابن خلدون لاختيار هذا

(١٠) ابن خلدون: المقدمة، ص ٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاستعمال النادر. ومع افتراض ذلك لايبدو أنَّ في صنيع ابن خلدون مايخالف ناموسَ اللغة، أو مايجرح ذوق اللغوي أو يؤذي سليقته .

وصفوة القول في هذا الموضوع أنّ الأوصاف والصفات منتشرة الاستعمال في اللغة بل في الحياة العامة أكثر من النعوت دون سبب أو تعليل. وقد امتدَّ هذا الانتشار فشمل الفقه والتفسير وعلم الكلام. فقد شغل أرباب هذه العلوم، وبخاصة علماء الكلام، بصفات الله دون أن يتجاوزوها إلى النعوت التي التصقت بعلم النحو، فأصبحت خاصة من خواصه ومصطلحاً من مصطلحاته، كما سنعلَمُ فيما بعد .

ثانياً – في علم البلاغة :

(١) نعثر في البلاغة على مصطلح الصفة في موضوع الكناية. فقد قَسَمَ البلاغيون الكناية إلى كناية عن صفة، مثل رفيع العماد وطويل النجاد، وكناية عن موصوف، مثل مجامعِ الأضغان أي القلوب وبنت عدنان أي اللغة العربية(١١) .

(٢) يتطرق البلاغيّون إلى ذكر الصفات في موضوع الفصل والوصل. قال صاحب علوم البلاغة: «ولكن الأكثر في الصفات ألا يعطف بعضها على بعض نحو جاء محمد العاقل الفاضل الكريم. وسرُّ هذا أنّ الصفة جارية مجرى موصوفها، فهي تدل على ذات لها تلك الصفة، ومن ثم يمتنع عطفها على موصوفها»(١٢).

ولا يبدو أنّ للصفاتِ صلة وثيقة بعلم البلاغة. فليست الصفة في

(١١) البلاغة الواضحة، ص ١٢٣ .

(١٢) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص ١٤٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البلاغة مصطلحاً له دلالة خاصة، بل هي لفظة عابرة تستعمل كما يستعمل غيرها من الألفاظ، دون أن يكون لها ميزة خاصة أو مدلول خاص. وليس للنعت أي ذكر في البلاغة صغيراً كان أو كبيراً .

ثالثاً – في الصرف :

ولا بدَّ لنا، قبل تحديد مدلول مصطلح الوصف أو الصفة في الصرف، أن نحاول التفريق بين كلا المصطلحين، لنكون على جانب الأمان فيما نحن فيه :

(١) قال أبو هلال العسكري: « إنّ الوصف مصدر والصفة فِعْلة، وفِعلة نقصت فقيل صفة، وأصلها (وَصفة) فهي أخصُّ من الوصف، لأنّ الوصف اسم جنس يقع على كثيره وقليله، والصفة ضرب من الوصف من الجلسة والمِشية. وهي هيئة الجالس والماشي. ولهذا أجريت الصفات على المعاني فقيل العفاف والحياء من صفاتِ المؤمن، ولا يقال من أوصافِه لهذا المعنى، لأنَّ الوصف لايكون إلا قولاً، والصفة أجريت مجرى الهيئة وإن لم تكن بها، فقيل للمعاني نحو العلم والقدرة صفات، لأنّ الموصوف بها يُعقَلُ، كما ترى صاحب الهيئة على هيئتِه. وتقول هو على صفة كذا، وهذه صفتك كما تقول هذه حليتك . ولا تقول هذا وصفك إلا أن يعني وصفه الشيء»[١٣] .

(٢) وأدلى الشريف الجرجاني بدلوه في التفريق بين المصطلحين فقال: «والمتكلمون فرّقوا بينهما فقالوا: الوصف يقوم بالواصف والصفة تقوم بالموصوف. وقيل الوصف هو القائم بالفاعل»[١٤].

فالوصف والصفة من وادٍ واحد. وكل مابينهما من فرق أنّ الوصف

(١٣) أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، ص ٢٣ .

(١٤) علي بن محمد الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، ص ٢٧٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هو عمل الواصف، وأنّ الصفة سمة الموصوف. ونمثل على ذلك بأن نصف رجلاً بأنّه شجاع. فعملنا هو وصف لذلك الرجل. وأما الشجاعة التي جذبت انتباهنا في ذلك الرجل فهي صفة .

ومهما يكن من شيء فإنّ مصطلحي الوصف والصفة هما مصطلحان مترادفان في النحو. أما في الصرف فالصفة أكثر ذكراً من الوصف كما سنرى فيما يلي :

يقولُ الشيخ مصطفى الغلاييني: «الاسم على ضربين: موصوف وصفة»(١٥). ويُضيف: «فالاسم الموصوف مادلَّ على ذات الشيء وحقيقته. وهو موضوع لتحمل عليه الصفة كرجل وبحر وعلم وجهل»(١٦).

ويقول المعلم رشيد الشرتوني: «والصفة هي كل كلمة تشرح حال الموصوف نحو كبير وصغير»(١٧).

وما دمنا في حديث الموصوف والصفة في الصرف، فلا بدَّ من التطرق إلى مصطلحين آخرين يمتّان اليهما بصلة وثيقة هما الجامد والمشتق. فالاسم الجامد هو ماكان غير مأخوذ من أصل الفِعْلِ، نحو رجل ودرهم، والمشتق هو ماأخذ من أصل الفعل، مثل ناظر ومريض(١٨) .

والأسماء الجامدة كلّها موصوفة. وأمّا المشتقة فالموصوف منها أسماء المكان والزمان واسم الآلة، والباقيات كلُها صفات(١٩). وهو يقصد بالباقيات اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبّهة، وصيغ المبالغة التي يلحقها

(١٥) الشيخ مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، ١/ ٩٧ .

(١٦) المصدر نفسه والمكان نفسه .

(١٧) رشيد الشرتوني: مبادئ العربية، ٤/ ٩٩ .

(١٨) المصدر نفسه، ٤/ ٥٣ .

(١٩) المصدر نفسه، ٤/ ٩٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النحاة باسم الفاعل .

ويعرّف صاحب النحو الوافي المشتق بأنه ماأخذ من غيره، بأن يكون له أصل ينسب إليه وينزع منه . ويتردد ذكر المشتق أحياناً باسم الوصف أو الصفة[٢٠]. ويحرص النحاة على التفريق بين ماهو موصوف وما هو صفة من المشتقات، إذ إنّ المشتقات ليست شيئاً واحداً من هذه الناحية. وكان بدر الدين بن مالك شارح ألفية أبيه قد تنبّه إلى ذلك حين تطرق لشرح قول والده :

وانعَتْ بمشتق كصعب وذربْ وشبهه كذا وذي والمنتسِبْ

قال شارحاً: «المشتق ماأخِذَ من لفظ المصدر للدلالة على معنى منسوب إليه. فلو قال:

وانعت بوصفٍ مثلِ صعبٍ وذربْ وشبهه كذا وذي والمنتسِبْ

كان أمثَلَ، لأنّ من المشتق أسماء الزمان والمكان والآلة، ولا يُنعت بشيء منها. انما ينعت بما كانَ صفة، وهو مادلَّ على حَدَثَ وصاحبه كصعب وذرب وضارب ومضروب وأفضل منك»[٢١]. ويقصد بدر الدين بن مالك بهذا التنبيه على قول أبيه ضرورة التمييز بين مصطلحي المشتق والصفة، فليس كل مشتق صفة، كما يتوهم كثيرٌ ممن يتعاملون بهذا الموضوع، إذ إنّ بين المصطلحين خصوصاً وعموماً كما يقول المناطقة فكل صفة مشتق وليس كل مشتق صفة .

ويعرج السيوطي على الموضوع فينقل عن (البسيط) قوله: «جملة مايوصف به ثمانية أشياء: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبّهة. وهذه الثلاثة هي الأصل في الصفات، لأنها التي تدخل في حدّ الصفة لأنها تدل

(٢٠) عباس حسن: النحو الوافي، ٣/ ١٨٢ (الحاشية) .

(٢١) بدر الدين بن مالك: شرح الألفية، ص ١٩٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على ذات باعتبار معنى هو المقصود. وذلك لأنّ الغرض من الصفة الفرق بين المشتركين في الاسم، وإنما يحصُلُ الفرق بالمعاني القائمة بالذوات والمعاني هي المصادر. وهذه الثلاثة هي المشتقة من المصادر، فهي التي توجد المعاني فيها»(٢٢). ويكمل صاحب البسيط الثمانية بالاسم المنسوب، والوصف بذي، والوصف بالمصدر، وأيّ الكمالية، والوصف بالجملة(٢٣). غيرَ أنّ هذه العناصر الخمسة ليست صفاتٍ في الأصل بل هي صفات مؤوَّلة أي أنها تستخدم استخدام الصفات وإن لم تكن صفات في الأصل .

ويعرّف صاحب مبادئ العربية الصفة المشبّهة بأنها صيغة تشتق من الفعل اللازم للدلالة على الثبوت، نحو حسن وكريم(٢٤). فالصفة المشبَّهة هي مصطلح صرفي إذن، وهي نوع من أنواع الصفات التي يرد ذكرها في كتب الصرف، وهي التالية: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبَّهة، وأفعل التفضيل .

وقد يسأل سائل: ولماذا لانجد ذكر صيغ المبالغة بين الصفات في كتب الصرف؟ والجواب هو أنّ الصرفيين عدّوا صيغ المبالغة صيغاً معدّلة عن اسم الفاعل، ولذلك قلّما يذكرونها .

المهمُّ في الأمر أنّ مدلول الصفة في الصرف أوسع من مدلولها في النحو، بدليل أنَّ ابن هشام حينما تصدّى لشرح بيت ابن مالك في تعريف الحال :

الحال وصفٌ ، فضلةٌ، منتصِبُ مُفْهِمُ في حالِ كفَرداً أذهَب،

(٢٢) السيوطي: الأشباه والنظائر، ٢/ ٨٩ .

(٢٣) المصدر نفسه، ٢/ ٩٠ .

(٢٤) رشيد الشرتوني: مبادئ العربية، ٤/ ٦٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال في شرحه: «الوصف جنس يشمل الخبر والنعت والحال»(٢٥).

ويشارك صاحب الكواكب الدرية ابن هشام في هذا الرأي فيقول: «والحقُّ أنَّ الوصف أعمّ عند النحاة، لأنه يقال الحال والخبر وصف معنى، ولا يقال نعت معنى»(٢٦). أي أنّ الوصف هو معنى. أمّا النعت فهو وظيفة، لأنّ الوصف خاص بالصرف، والصرف لايُعنى بوظائف الكلام، لأنَّ وظائف الكلام هي من صلب عمل النحو والنحاة. وقد أكّد السيوطي وجهة النظر هذه حين جعل الصفة تتضمن النعت والحال والظرف والعدد(٢٧).

ويبدو ممَّا سلفَ أنّ الصفة أعمُّ من النعت، لأنّ النعت يتضمن موضوعاً واحداً ، أمّا الصفة فتتضمن عدة موضوعات، هي النعت والحال والخبر والظرف والعدد. أما كيف يكون ذلك فنوضحه من خلال الأمثلة التالية :

زيد مجتهد (خبر)

بدا زيد مجتهداً (حال)

هذا طالب مجتهد (نعت)

أما العدد فلا يكون صفة إلا على سبيل التأويل، فنقول: هؤلاء طلاب ثلاثة. فلفظ (ثلاثة) هنا جاء نعتاً على سبيل التأويل، لأنه ليس وصفاً في الأصل، أي ليس اسم فاعل ولا اسم مفعول ولا صفة مشبّهة، بل هو مؤوَّل بصفة. فحين نقول طلاب ثلاثة يكون التأويل: طُلاّب معدودون بثلاثة .

أما كيف يكون الظرف صفة فالإجابة على ذلك من وجهين :

الأول – أنّ الظرف يكون شبه جملة يوصف بها الاسم المفرد النكرة،

(٢٥) ابن هشام: أوضح المسالك، ٢/ ٧٨ .

(٢٦) الشيخ محمد الأهدل: الكواكب الدرية ٢/ ٩٤ .

(٢٧) السيوطي: الإتقان، ٣/ ١٩٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فنقول: هذا سيف في غمدِه، فعبارة (في غمده) شبه جملة في محل رفع نعت للفظة (سيف)، والنعت في عرف النحويين صفة .

الثاني – أنّ الكوفيين أطلقوا على الظرف مصطلح الصفة [٢٨] .

وقد تنبه شارح الكافية إلى أنّ مفهوم الصفة أعم من مفهوم النعت، فنقل عن ابن يعيش شارح المفصّل قوله: «الصفة تطلق باعتبارين عام وخاص والمراد بالعام كل لفظ فيه معنى الوصفية جرى تابعاً أو لا فيدخل فيه خبر المبتدأ والحال في نحو زيد قائم، وجاءني زيد راكباً، اذ يقال هما وصفان. ونعني بالخاص ما فيه معنى الوصفية اذا جرى تابعاً نحو جاءني رجل ضارب»[٢٩] .

ونستخلص من كل ماسبق الحقائق التالية :

(١) أنّ الصفة مصطلح صرفيٌّ بحت .

(٢) أنّ مفهوم الصفة في الصرف أوسع من مفهومِها في النحو .

(٣) أنّ الصفة تطلق في الصرف على اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبَّهة وصيغة المبالغة وأفعل التفضيل .

رابعاً – في النحو :

يقول ابن منظور بعد أن شرح معنى الوصف في اللغة : «وأمّا النحويّون فليس يريدون بالصفة هذا، لأنّ الصفة عندهم هي النعت، والنعت هو اسم الفاعِل نحو ضارب والمفعول نحو مضروب وما يرجع إليهما من طريق المعنى نحو شبه ومثل وما يجري مجرى ذلك»[٣٠]. ولقد خلط ابن منظور

(٢٨) ابن الأنباري: الانصاف (المسألة السادسة)، ١/ ٥١ .

(٢٩) الشيخ رضيّ الدين الاستراباذي: شرح الكافية، ٢/ ٣٠١ .

(٣٠) ابن منظور: لسان العرب، مادة «وصف» .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هنا بين الصفة في الصرف والصفة في النحو. فجعل اسم الفاعل واسم المفعول نعتاً، وإنما هما صفة كما سبق أن ذكرنا. ولعله قَصَدَ أنهما يجيئان نعتاً كما في مثل قولنا: هذا رجل ضارب وهذا رجل مضروب، لأنّ من شروط النعت أن يجيء صفة أو ضرباً آخر من الكلام مؤوَّلاً بصفة، مثل اسم الإشارة، فنقول: لقيت الرجل هذا. فلفظة (هذا) اسم مؤوَّل بالمشتق، وعلى هذا الأساس جاز مجيئها نعتاً، لأنها على تأويل (المشار إليه) .

ويقول أبو هلال العسكري: «والنعت لغة أخرى (أي للوصف) ولا فرق بينهما في المعنى. والدليل على ذلك أنّ أهل البصرة من النحاة يقولون الصفة، وأهل الكوفة يقولون النعت، ولا يفرقون بينهما»(٣١). ولعلّ الكوفيين فعلوا ذلك لأنهم أطلقوا مصطلح الصفة على الظرف(٣٢)، فلم يحبّوا أن يحصل ازدواج في مصطلحاتهم، فأصابوا بذلك المحزّ وحظوا بالتوفيق. إذ إنّ مصطلح النعت هو أكثر مناسبة لهذا المعنى.

ومهما يكن فقد بقي المصطلحان الصفة والنعت جاريين في الاستعمال، متداولين في كتب النحو دون أن يحسم النحاة القول في هذا الموضوع. وما زال الدارسون يسيرون على نهج النحاة في استخدام المصطلحين، فهم يقولون نعت أو يقولون صفة، دون أن يتبينوا إن كان ثمة فرق بين المصطلحين أو كانَ ثمة ميزة لمصطلح على آخر .

واذا أنعمنا النظر في موضوع النعت وجدنا النحاة يلتزمون بإثبات مصطلح النعت في عنوان الموضوع، ثم يقولون: وقد يطلق عليه اسم الصفة أو الوصف، وقد يكون الذي ينبِّه على ذلك هو الشارح أو المعلِّق. قال الشيخ

(٣١) أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، ص ٢٢ .

(٣٢) ابن الأنباري: الانصاف (المسألة السادسة)، ١/ ٥١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خالد الأزهري في شرحه على تصريح ابن هشام عند تطرقه لموضوع النعت: «ويراد منه (يقصد النعت) الصفة أو الوصف»(٣٣). وقال عباس حسن: «النعت، ويسمّى أيضاً الوصف أو الصفة. فمعنى الكلمتين هنا غير معناهما السابق في (ب) مرادفاً هناك المشتق»(٣٤). ويقول الصاحبي: «النعت هو الوصف، كقولنا عاقل وجاهل. ويذكر عن الخليل أنَّ النعت لايكون إلا في محمود وأنّ الوصف قد يكون في المحمود وغيره»(٣٥).

وهذا الذي ينقله الصاحبي عن الخليل ليس ثابتاً ولا مؤكداً، وهو من جملة ماسبق أن نقلناه عن النحاة في التفريق بين المصطلحين من كون أحدهما للعارض والآخر للثابت من الصفات، أو كون أحدهما لما يتغير والآخر لما لا يتغير منها. وهذه الفروق كلّها غير ثابتة ولا قائمة على العلم اليقيني، بل هي ضرْب من التخمين الذي لاتؤيده النصوص اللغوية ولا الاستعمال اللغوي. ومن هذا القبيل ماذكره ابن يعيش في التفريق بين المصطلحين قال: «الصفة والنعت واحد. وقد ذهب بعضهم إلى أنَّ النعت يكون بالحلية نحو طويل وقصير، والصفة تكون بالأفعال نحو ضارب وخارج. والصفة لفظ يتبَعُ الموصوف في إعرابه تحلية وتخصيصاً له بذكر معنى في الموصوف أو في شيء من سببه»(٣٦). والعجيب أنّ النحاة لايذكرون مصادرهم عند ايراد هذه الفروق المخترعة المتخيلة، وهذا يدلّ على أنها لاتقوم على منطق علمي، ولا تعتمد على أساس عقلي .

وممّا يستحقُّ التنبيه والتنويه أنّ النحاة، عند تطرقهم للحديث عن النعت

(٣٣) الشيخ خالد الأزهري: التصريح على التوضيح، ٢/ ١٠٧ .

(٣٤) عباس حسن: النحو الوافي، ٣/ ٤٣٤ (الحاشية) .

(٣٥) أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص ٩٨ .

(٣٦) ابن يعيش: شرح المفصل، ٣/ ٤٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المفرد، مختلفون، فمنهم من يذكر مصطلح الصفة والنعت، ومنهم من لايذكر إلا النعت فقط. وأكثر كتب النحو القديمة والحديثة لا تذكر إلا النعت بهذا الصدد، وقد تشير إلى الصفة وقد لاتشير، وهذا يدلّ على أنّ النعت أصبح مصطلحاً نحويّاً متداولاً .

غير أنهم اذا تطرقوا للحديث عن النعت الجملة لايكادون يذكرون إلا الصفة. فهذا ابن هشام يورد في «المغني» قول النحاة المشهور: «الجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال»(٣٧). ونرى الكافيجي في شرح قواعد الإعراب، وفي أثناء شرحه لما أورده ابن هشام عن إعراب الجمل، يتحدث عن الجملة الوصفية(٣٨)، وعن الجملة الواقعة صفة(٣٩)، ولم نَرَه يتطرق في هذا المعرض إلى مصطلح النعت لا من قريب ولا من بعيد .

ونستخلص من كل ما سَبَقَ الحقائق التالية :

١ – أنّ النعت يكون في الجملة المركَّبة، أما الصفة فتكون في الكلمة المفردة. فنحن نقول (ظافر) صفة، دون أن ندرجها في جملة. ولكننا لانستطيع أن نسَميها نعتاً إلا إذا أدرجناها في جملة فقلنا: هذا قائد ظافر .

٢ – أنّ النعت يستخدم في النحو ولا يستعمل في الصرف .

٣ – أنّ الصفة مصطلح مشترك بين الصرف والنحو .

لقد درج النحاة على استخدام النعت أو الصفة أو كليهما في التوابع، دون أن يشيروا إلى رأيهم في الموضوع، أو دون أن يسوّغوا اختيارهم لأحدهما أو كليهما. ولم أجد من خالف في ذلك إلا صاحب (النحو

(٣٧) ابن هشام: المغني، ٢/ ٤٧٨ .

(٣٨) الكافيجي: شرح قواعد الإعراب، ص ٢٠٥ .

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٢٠٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المُصفّى)، الذي حاول أن يرجّح النعت على الصفة. قال: «اختار النحاة كلمة «النعت» دون «الصفة»، وإن كان كلاهما بمعنى واحد»(٤٠). وأضاف: «فالغالب على تعبير النحاة أن يقولوا (النعت والمنعوت)، وتساوي تماماً (الصفة والموصوف). لكنَّ المعربين – وبخاصة المبتدئين – على العكس من ذلك، إذ الغالب عليهم أن يستعملوا الصفة والموصوف، ويقل في كلامهم أن يستعملوا النعت والمنعوت»(٤١). ولا شك أنّ الاقتداء بأقوال المتمرسين خير من الاقتداء بكلام المبتدئين .

ولمّا كانت الصفة مصطلحاً مشتركاً بين الصرف والنحو، ولمّا كان النعت مصطلحاً خاصاً بالنحو، جاز لنا، حفاظاً على دقة المصطلح النحوي، أن نتمسك بالنعت دون الصفة، وألا نستخدم في النحو إلا النعت، وألا نستخدم في الصرف إلا الصفة. ذلك لأنّ ازدواجية المصطلحات ليست ظاهرة مستحبة في العلوم التي نضجت واحترقت كعلم النحو(*). فكلما ارتقى العلم وتطور زاد دقة وانتظاماً. ولا شكّ أنّ اختيار مصطلح النعت دون الصفة هو من ظواهر هذه الدقة والانتظام.

(٤٠) محمد عيد: النحو المصفّى، ص ٥٧١ .

(٤١) المصدر نفسه والمكان نفسه .

(*) [انظر حاشيتنا السابقة ص ٦٨١/ المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المصادر والمراجع

١ – ابن الأنباري: كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن (٥٧٧ هـ/ ١١٨١م): الانصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦١م .

٢ – ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن (٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦م): المقدمة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٨م .

٣ – ابن فارس: أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م): الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٧م .

٤ – ابن مالك: ابو عبد الله بدر الدين محمد (٦٨٦ هـ/ ١٢٨٧م) : شرح الألفية، تحقيق محمد بن سليم اللبابيدي، طهران، نشر ناصر خسرو، ١٨٩٤م .

٥ – ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ/ ١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، (بلا تاريخ) .

٦ – ابن هشام : أبو محمد، عبد الله جمال الدين بن يوسف (٧٦١هـ/ ١٣٦٠م) .

أ – أوضح المسالك (٣ أجزاء)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة النصر، القاهرة، ١٩٥٦م .

ب – مغني اللبيب، (جزءان) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة القاهرة، (بلا تاريخ) .

٧ – ابن يعيش: يعيش بن علي بن يعيش (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م): عالم الكتب، بيروت، (بلا تاريخ) .

٨ – الأزهري: الشيخ خالد بن عبد الله (٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م): شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (بلا تاريخ) .

٩ – الاستراباذي: رضي الدين محمد بن الحسن (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م): شرح الكافية (نسخة مصورة)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م .

١٠ – الأهدل: محمد بن أحمد بن عبد الباري (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م): الكواكب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدرية، دار الكتب العربية، بيروت، (بلا تاريخ) .

١١ – الجارم: علي (ورفيقه): البلاغة الواضحة، دار المعارف بمصر. (بلا تاريخ).

١٢ – الجرجاني: علي بن محمد الشريف (٨١٦هـ/ ١٤١٣م): كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م .

١٣ – السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ/ ١٥٠٥م) :

أ – الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٥م .

ب – الاتقان في علوم القرآن، (٣ أجزاء)، مصر، ١٩٥١م .

١٤ – الشرتوني: المعلم سعيد: مبادئ العربية في الصرف والنحو، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م .

١٥ – العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م): الفروق في اللغة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣م .

١٦ – الغلاييني: الشيخ مصطفى: جامع الدروس العربية (٣ أجزاء)، المطبعة العصرية، صيدا، ١٩٥٩م .

١٧ – الفيومي: أحمد بن محمد (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م): المصباح المنير ، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م .

١٨ – الكافيجي: محيي الدين (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م): شرح قواعد الاعراب لابن هشام، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٩م .

١٩ – المراغي: أحمد مصطفى: علوم البلاغة، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م .

٢٠ – حسن: عباس: النحو الوافي (٤ أجزاء) دار المعارف بمصر، ١٩٧٥م .

٢١ – عيد: محمد: النحو المصفّى، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٧ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net